الاعلام الساداتي فيخلق الاوهام التي تحولت « الى جرعات تخدير يذهب بالوعي وبالعقل » (ص ٨٥) ، فأن تفسيره لظاهرة « القبول والرضا » يستعير في احيان كثيرة ، نفس حجج ذلك الاعلام ، فيصب بالتالي ، في طاحونته ٠

اما الموضوعات الابرز في تلك الاحاديث التي تستوجب العرض والتوقف عندها فهي الحديث عن المبادرة ذاتها ، ثم طبيعة رؤية هيكل للموقفين الاميركي والسوفييتي من المبادرة ولدورهما في صراع المنطقة ٠

« المبادرة » تستنفد نفسها

بعد ان يعلن هيكل بأن « مبادرة السلام قد استنفذت نفسها كأنها « نيزك » تساقط من نجم بعيد » (ص ١٦٤) يؤكد انها « لم تحقق هدفها ، اكثر من ان الموقف عاد بعدها ـ وفي ظرف اسابيع ـ الى ما كان قبلها ، وهو انتظار الضغط الاميركي على اسرائيل يقنعها بالانسحاب وبحقوق الشعب الفلسطيني » (ص١٦٤) ولذلك فأن ما نتج عن المبادرة هو ان « الازمة ما زالت على حالها واسوأ » (ص١٦٥) ٠

أما على الصعيد الاسرائيلي فهي بمثابة مكسب كبير لانها في « حد ذاتها ابعد اثرا من اي شيء يلحق بها » (ص ٥٠)٠

ولتفسير سبب اعتبار الزيارة مكسبا كبيرا لاسرائيل ، رغم « فشل » المبادرة ، فأن هيكل ، وبعد رصده ومتابعته لسياسة ونهج الانظمة العربية المعنية ـ وخاصة نظام السادات ـ ومراقبته وكيفية ادارتها للصراع ، منذ حرب اكتوبر وحتى المبادرة يصل الى استنتاج هام يصيب به قلب تلك السياسة وجوهرها فيقول ان « بعض العرب ٠٠٠ يتصورون ان التنازلات الجزئية هي الطريق الى الحل ٠ والحقيقة ان التنازلات الجزئية ليست طريق الحل الا على منطق اسرائيل ٠٠ اي ان كل تنازل جزئي تحصل عليه اسرائيل معناه الاقتراب خطوة من التنازل الكلي ٠٠ » (ص ٩) ٠

اقام هيكل استنتاجه هذا على ركيزتين اساسيتين : اولهما ، مأزق نهج السادات وتهافته ،وخاصة منذ حرب اكتوبر وحتى فشل المبادرة ٠ وثانيهما ، التصلب والثبات في الموقف الاسرائيلي ، والاصرار على عدم اعطاء اي تنازل جوهري للسادات ، رغم التنازلات الكبيرة التي قدمها ٠ ووصلت ذروتها بزيارته لاسرائيل ٠ وهكذا اصبحت معادلة مأزق السياسة المصرية هي : اسفنجة ساداتية في مواجهة الصخرة الاسرائيلية !

لتوضيح ذلك وتفسيره ، يعرض هيكل مطولا طبيعة الموقف الساداتي قبل المبادرة وبعدها ، وما يقابله من لمواقف الاسرائيلية ٠ فمنذ اتفاقيات « الفصل بين القوات » التي عقدت بعد حرب اكتوبر على الجبهات العربية « كان العرب قد اعطوا وقدموا من الدلائل والتأكيدات والتنازلات ما لم يخطر على بال احد ،

حتى راسمي السياسة الاميركية في اكثر احلامهم جموحا وغرقا في الخيال » (ص ٢٦١) ٠ واكثر من ذلك ، فأن هيكل يتساءل « ما الذي اخذه العرب في مقابل كل ما اعطوه للولايات المتحدة ولاسرائيل وهو هائل هائل ٠٠٠ هائل الى غير حدود ؟! » (ص ٢٧٠) ٠

وتعني سياسة التنازلات هذه ، ان اسرائيل تحول ما تأخذه الى « حقائق سياسية » تزيد من تصلبها ، وتمنحها القدرة على تحويل ذلك مجددا ، الى عوامل قوة اضافية ، تستخدمها في الفترات اللاحقة من الصراع ٠٠ وهكذا !

وبهذه السياسة الساداتية تحقق « الهدف الاميركي باخراج مصر من الصراع » (ص ١٧٥) وانتزع « سلاح الرفض المصري » (ص ٢٣٤) ثم راحت